موسى عليه السلام
من أولي العزم

(**موسى**) اسم رجل، وقيل كما جاء في المعاجم، ما وجد بين الماء والشجر، ويقال أن (موسى) اسم عربي من مقطعين: (مو) وهو في لسان العرب أي (الماء)، و(سا) وهو العشب، وقد لقيه آل فرعون بين الماء والعشب.

(**هارون**) ومعناه: الهائب وهو المطيع، وقيل أنها من (هـ ر و) وهي السكون والهدوء والراحة، وعندما شرع موسى عليه السلام يلومه من موقفه من بني إسرائيل عندما عبدوا عجل السامري، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: وكان هارون هائبًا مطيعًا عليه السلام.

(**أشعيا**) ولم يذكر الاسم صراحة في القرآن ومعناه: الخلاص وهو من الأنبياء في مملكة بني إسرائيل.

(**صفوريا وشرفا**) بنات شعيب عليه السلام، تربيا على الفضيلة والمحافظة على النفس، وعدم الخروج للعمل إلا للضرورة.

(**مصر**) واسمها القديم «كيميت» وتعني الأرض السوداء بسبب خصوبتها، وهي تعتبر أول حضارة في تاريخ البشرية.

(**فرعون**) ومعناه: البيت العظيم والباب العالي والشمس، وهو من ملوك مصر القديمة.

(آسية) هي امرأة فرعون مصر، وهي امرأة صالحة وكانت تسمى «إيت نفرت» ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم سماها «آسية».

وقد جاء في معنى دعاء موسى عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ (طه: ٢٩-٣١).

قال العلماء: ما نفع أخ أخاه كما نفع موسى هارون فقد طلب له من ربه أن يقوي به ظهره، فاستجاب الله دعاءه وجعله نبيًا مرسلاً، ويرى العلماء أن كلمة «هارون» من مقطعين وهما: «ها» أي المناولة والفرح للمؤمن كما جاء في القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ (الحاقة: ١٩)، والمقطع الثاني وهو «رون» أي الشدة والقوة كما في دعاء موسى عليه السلام.

وقصة موسى عليه السلام تكررت أكثر من غيرها في القرآن، وقد أوضح أهل العلم جوانب الحكمة من ذلك حيث أنها أعظم قصص القرآن، فهي قصة الصراع الأزلي بين الخير والشر؛ الخير في أجمل صورة وأنقاها، والشر في أعتى صوره حيث ادعاء الألوهية، وقد جاءت في مواضع متعددة وبأساليب متنوعة، وباختصار وبسط حسب المقام، ولأنها تقص علينا قصة أعظم أنبياء بني إسرائيل وعلمائهم أمام ملك ظالم لأعظم دولة في العالم القديم، ولأن اتباعه أكثر أتباع الأنبياء يوم القيامة غير أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان له من القوة العظيمة في إقامة دين الله والدعوة إليه والغيرة العظيمة ما ليس لغيره من الأنبياء، وهذا ما بينه النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم: «**يرحم الله اخي موسى فقد اوذي باكثر من هذا فصبر**» (حديث متفق عليه).

وإن كانت لا تكاد سورة في القرآن تخلو من ذكر قصته عليه السلام فإن سورة القصص تنفرد بأنها لم تتعرض لأحد من الأنبياء غيره مع فرعون، وهي تبدأ بقوله تعالى: ﴿طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ١-٤).

هذه الآيات من الكتاب المظهر الحق من الباطل لخبر موسى عليه السلام، يقص على المؤمنين الذين تواضعوا في الأرض وملأوها عدلاً ورحمة فكان جزاؤهم الجنة، كما كانت جهنم جزاء فرعون الذي علا في الأرض وملأها بغيًا وفسادًا، ولهذا اختتمت السورة وآياتها (٨٨) بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣).

يقول المفسرون والإخباريون نقلاً عن الكتاب والسنة: إن الله تعالى لما مكن لنبيه يوسف عليه السلام الملك في مصر، أرسل في طلب أبيه وأخوته، ولما انتقل عليه السلام إلى الرفيق الأعلى وتوارثت الفراعنة ملك مصر، وكان بنو إسرائيل يميلون إلى العزلة وعدم الاختلاط، ولما جاء فرعون وكان أعتاهم ظلمًا، وقد أخبره الكهان تأويلاً لما رآه في منامه، بأن نارًا أحرقت دور المصريين ولم تقترب من بيوت بني إسرائيل، بأنه سيخرج من بينهم رجل يكون هلاكه على يديه، فأمر بقتل الذكور عامًا وأن يتركوا عامًا، وكما أخبر القرآن تربى موسى عليه السلام في بيت فرعون وفي أحضان أمه، وبعد أن رأت امرأة فرعون النور يتلألأ من وجهه، وحتى يكون لها هداية في الدنيا ونعيمًا في الآخرة، وليكون لزوجها نقمة له ولجنوده، وقد جاء الأمر لأمه بالإلهام أو الرؤيا أو إخبار ملك، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: ٧).

وقد جاء في تفسير النسفي: «في هذه الآية أمران ونهاية وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن، أن الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع والحزن يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به، فنهيت عنها وبشرت برده وجعله من المرسلين» (من تفسير سورة القصص).

ويقول بعض المفسرين: أنه رغم كل هذا داهمها الجزع لما علمت بوقوعه في يد فرعون بعد أن تلاعبت به الأمواج وصاحت (واابناه)، ولم تتماسك إلا بعد أن ربط الله سبحانه على قلبها، فاطمئن واشتد فرحها بأن وعد الله حق.

ولما بلغ موسى عليه السلام أشده أتاه سبحانه وتعالى حكمًا وعلمًا أي النبوة والرسالة، ثم كان (يوم الزينة) ويصف القرآن ما حدث للسحرة في دقة متناهية عندما تأكدوا أن ما يحدث ليس بسحر ولا شعوذة ولا خيال، وإنما هو معجزة أجراها سبحانه على يد عبده ونبيه، كقوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه: ٧٠).

وقيل أن السحرة لما سجدوا لله سبحانه رأوا قصورهم في الجنة، ولهذا لم يلتفتوا إلى تهديد فرعون لهم بأشد العذاب، فكانوا أول النهار سحرة يطلبون الأجر وزادهم فرعون الجاه والمرتبة، فصاروا في آخره من الشهداء البررة، وقد أخبر القرآن عنهم بقوله: ﴿قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٥٠-٥١).

ثم تنتهي القصة بهلاك فرعون وجنوده، وبعد إقامة الحجة عليهم بالترغيب والترهيب ومنها أعوام الجدب والطوفان والجراد والسوس والضفادع والدم، وكلما كان موسى عليه السلام ينتهي من الدعاء لرفع البلاء عنهم، ويستجيب سبحانه لدعائه، يعودون أشد قسوة مما كانوا عليه.

ويصور القرآن تلك النهاية في أبلغ تصوير: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس: ٩٠-٩٢).

تلك هي نهاية فرعون وهو يعاني سكرات الموت، والأمـواج ترفعه وتخفضه وهو عاجز عن أي شيء تمـامًا مثل جنوده، ولم يقبل إيمان الإجـبار منه، ولهذا خاف جبريل عليه السلام أن تعمه الرحمة فيغفر له، وذلك لأنه لم يبغض أحدًا كبغضه له، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «**قال لي جبريل: لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فم فرعون مخافة أن يناله الرحمة**» (رواه الترمذي وقال: حديث حسن).

وكان هلاكه وجنوده يوم عـاشوراء كما قـال البخاري في صحيـحه، ولهذا صامه اليـهود، ولهذا قال النبي الخـاتم صلى الله عليه وسلم للصحابة: «**انتم أحق بموسى منهم فصوموا**» (أصل الحديث في الصحيحين وغيرهما).

وهذا القول الكريم من نبي كـريم تكريم لنبي كريم كرمه رب العزة سـبحانه واختـاره برسالته عـلى أهل زمانه: ﴿**قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ (الأعراف: ١٤٤).

ومع كل هذا الفضل لم يسلم عليه السلام منهم، فقد تجرأ بعضهم وأنكر نبوته وأنه شخصية من نسج الخيال، وحجتهم أنه لو كان حقيقة واقعة لجاء ذكره على لسان النبي الصالح (أشعيا) والذي ترك لطائف مكتوبة.

وفئة أخـرى تصوره عندما يكلمه الله سبـحانه كما يكلم الصـديق صديقه ـ حاشا لله ـ وأنه كان يرى ربه سبحانه وهو يكلمه، وقد نفى القرآن هذا الشطط: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ (الشورى: ٥١).

وآخرون قالوا: إن موسى صـاحب الخضر ليس هو النبي موسى عليه السلام، وإنما هو شخص آخر اسمه «موسى بن ميشان بن يوسف».

وأما ما تصوره بعض كتبهم وكأنه قائد عسكري لا هم له إلا جمع المال بأي طريق، وقد روى كعب الأحبار أنه عليه السلام لما وضع شعيب عليه السلام الطعام بين يديه امتنع، فقال له: ألست جائعًا، قال: بلى ولكن أخاف أن يكون عوضًا مما سقيت لهما وإنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا نأخذ عن المعروف ثمنًا، فقال شعيب عليه السلام: هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا، فأكل عليه السلام من الطعام، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب: ٦٩).

قيل: لوجاهته أجابه ربه سبحانه لكل ما سأل، وأعطاه كل ما طلب، وأنه شفع في أخيه وطلب أن يكون معه وزيرًا، فجعله نبيًا معه.

وأيضًا لم تترك الإسرائيليات «هارون» عليه السلام وأدعت عليه ما لا يمكن لعاقل أن يصدقه، نبي يصنع عجلاً ليعبده الناس . . !!

وقد برأه القرآن من هذا العبث ونص صراحة باسم من صنع لهم العجل وهو «السامري» وكان من قوم يعبدون البقر، وقد ذكر هذا بالتفصيل في شرح حديث القنوت الطويل لابن عباس والذي رواه النسائي وغيره بإسناد حسن وفيه الاسم والذي هو لقيه، وكيفية صنعه العجل من الذهب الذي كان معهم، يقول سبحانه: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (طه: ٩٥-٩٦).

وهكذا تنتهي قصة نبيين كريمين، وقد استجاب الله سبحانه لأعظم دعاء يدعو به مظلوم على ظالمه، وكان موسى عليه السلام يدعو وهارون عليه السلام يؤمن، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٨٨-٨٩).

داود عليه السلام

صاحب الصوت الملائكي

(داود) ومعناه: ذو عزة ويحبه الناس.

ويقال: إنه اسم عربي متصل بلفظ «أود»، وتقول العرب: أود العود يؤوده أودًا إذا حناه، وقد كان من آيات الله سبحانه لنبيه داود عليه السلام أنه سبحانه ألان له الحديد، فكان يؤوده أودًا ويثنيه كالعجين بين يديه، كقوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: ١٠).

قال قتادة: «سخر الله الحديد فكان لا يحتاج أن يدخله نارًا، ولا يضربه بمطرقة، وكان بين يديه كالشمع والعجين، ويقول الإمام الفخر: ألان الله لداود الحديد حتى كان في يده كالشمع وهو في قدرة الله يسير» (التفسير الكبير)، وقيل: «أنه كان يصنع الدرع في بعض يوم يساوي ألف درهم فيأكل ويتصدق» (تفسير القرطبي).

(سليمان) ومعناه: السمو وهو العلو والارتفاع.

ويقال: «إنه اسم عربي متصل بلفظ «سلم»، والسلم عند العرب السلامة والسلام والبراءة، وقد برأه الله سبحانه مما كتبه اليهود مما تتلو الشياطين وقولهم أنه كفر كما أخبر القرآن: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ (البقرة: ١٠٢)، وسبب نزولها أنه لما ذكر النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم أن سليمان في المرسلين، قال بعض أحبار اليهود: ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبيًا . . !! وما كان إلا ساحرًا فنزلت هذه الآية» (زاد المسير).

(**شمويل**) ومعناه: عطية الله من أنبياء بني إسرائيل بعد موت موسى عليه السلام.

(**طالوت**) ومعناه: الشريف النبيل، وكان راعيًا واختاره الله للملك لأنه كان أعلم بني إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقًا.

(**بلقيس**) لم يرد الاسم صراحة في القرآن، وقد ذكره المفسرون المسلمون، بينما لم يرد في النصوص الأصلية التي تذكر قصتها، ولا نجد مقابلاً لهذا الاسم في القصص الغربية إلا بلقب «ملكة سبأ»، وهذا الاسم ينتشر في اليمن حتى وقتنا هذا، وربما يكون سبب هذا ما قاله قتادة عنها: ما كان أعقلها في إسلامها وشركها . . !!

(**أوريا**) ومعناه: النار والنور وهو قائد في جيش داود عليه السلام.

لقد علمنا ديننا الحنيف مبدأ هامًا وهو أدب الحوار مع أهل الكتاب مع عدم المساس بالعقيدة الصحيحة لديننا الحنيف والثوابت الإيمانية والتي لا نقاش فيها.

وهذا ما عناه الإمام أحمد: «من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة جلدة».

لأن هذا من المكذوب لا محالة، والرجوع إلى الكتاب والسنة هو الأولى لأن فيهما الهداية والصواب.

والإمام أحمد محق كل الحق في قوله لأن ما يرويه القصاص يعد قذفًا بعباد الرحمن، فما بالك بأنبياء الله؟!

داود عليه السلام أحد الأنبياء الذين رد لهم القرآن كراماتهم وفضائلهم، يقول تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ١٧).

ولقد أخبر سبحانه عما أنعم به على عبده ورسوله حيث أتاه من الفضل والنبوة والملك، ومنحه الصوت العظيم فكانت تسبح معه الجبال والطيور، وكان أول من عمل الدروع، كما أخبر القران: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: ١٠).

وفي الآية بعضًا من نعم الله سبحانه ومنها فضل النبوة وتسبيح الجبال معه وإرجاعها لصدى صوته، وكذا تسبيح الطير معه، والكشف عن سر صهر الحديد وتشكيله، مما يسهل صناعة الدروع الحديدية وغيرها.

وفي كلمة «أوبى» إعجاز لأن معناها رجع الصوت أي الصدى ـ المعجم الوجيز ـ وهي أول إشارة في التاريخ لحقيقة علمية ثابتة وهي انعكاس الموجات الصوتية عندما تقابل جسمًا صلبًا وهو في الآية الجبال.

وقد بدأ داود عليه السلام حياته بانتصاره ـ بإذن الله ـ على جالوت: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٥١).

وقد زاده الله تواضعًا وكان يترنم بالتسبيح شكرًا وحمدًا لله، وكانت الريح يسكن عند صوته، ويركد الماء الجاري، والمحموم يعرق، والعليل يشفى.

ولقد كرم سبحانه عبده ونبيه عليه السلام بأن أضافه ومعه آله إلى نفسه ـ جلَّ وعلا ـ تكريمًا وتشريفًا لهم، وذلك لأنه قسم يومه على أهله، فلم تكن تأتي ساعة إلا ومن آله قائم يصلي: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٣).

هل هناك أروع وأصدق من ذلك التوصيف العادل والمنصف؟!

ومع هذا ظلمته الإسرائيليات ونسبت إليه ما لا يليق بنبي كريم، وفسرت حادثة تسور المحراب بتعسف شديد، جاء القرآن لينصفه مبينًا أن تسور الخصمين

محراب داود لا علاقة له بقائده «أوريا» وزوجته، وإنما الفتنة هي سماعه لأحدهما دون الآخر، وأراد الله سبحانه أن يعلمه مبدأ هامًا في الحكم وهو ألا يسمع لخصم دون الثاني، ومادام قد جلس للقضاء بين الناس فلابد أن يستمع للجميع، فقد يكون الغني الذي لم يسمع دفاعه عن نفسه صاحب الحق، والفقير الذي استمع إليه لا حق له، ولهذا خاطبه سبحانه: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص: ٢٦).

أين هذا وحكاياتهم المسموعة التي أملتها عليهم نفوسهم المريضة؟!

إن الخطاب وإن كان للنبي داود عليه السلام، إلا إنه خاص وأريد به العام وحتى يعلم ولاة الأمور والحكام والقضاة بأن العدل ما هو إلا اتباع الحق الذي أنزله الحق سبحانه وتعالى وجعله اسمًا من أسمائه الحسنى.

ومع هذا فإن داود عليه السلام لم يخطئ وذلك لأنه نبي حكمه على اجتهاد فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، وهذا من حقه كنبي أن يجتهد فيما لم يرد فيه نص صريح، والوحي قد يقره أو يعدله أو لا ينزل في شأنه بشيء فيكون تقريرًا للحكم.

أي أن الدرس الهام من قصة نسور الخصمين للمحراب هي كما أخبر القرآن فيما بعد في الكتاب الحق: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨).

ومع كل هذا يقال أنه عليه السلام ما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من أعدل العادلين - جلَّ وعلا - حتى قبض مطمئنًا لمغفرة ربه سبحانه.

وقد رزقه الله سبحانه سليمان عليه السلام والذي سار على درب الإيمان والهدى، فقد تربى في كنف نبي، وكان عليه السلام يتكلم أكثر من لغة، ليست من لغات البشر

فقط، بل ومن لغات الطيور والحيوانات وغيرها من الكائنات، كقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (النمل: ١٦).

وهذا ليس فخراً وإنما مناجاة لربه سبحانه، شاكراً له على ما أولاه من نعم، والشكر ابتهال وتسبيح وذكر، ولهذا ذكر ذلك الفضل للناس تعليماً وإرشاداً لهم، وهذا ما قاله أيضاً عندما رأى عرش بلقيس: ﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠).

وقد أهتم المؤرخون المسلمون بوصف عرش بلقيس، فقد جاء في الكثير من المصادر وخاصة كشاف الزمخشري والذي وصفه بدقة متناهية وأنه من ذهب وفضة وتكسوه الجواهر كالياقوت والزمرد وغيرها من المعادن النفيسة.

ويقول أهل الكتاب: إن سليمان عليه السلام ملك أوتي الحكمة وأنه ليس بنبي، وأنه كان يطلب الدنيا لنفسه.

ويقول القرآن: إنه عليه السلام طلب المغفرة من ربه سبحانه قبل أن يطلب ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وهذا ليس لنفسه وإنما ليجود على الفقراء والمساكين والمظلومين، وأنه طلب ملكاً ليس في الأرض الشاسعة، وإنه وإن كان قد ملك الأراضي الشاسعة فهذا من فضل الله سبحانه عليه، وأعطاه تسخير الهواء والنار وهما الريح والجن، كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص: ٣٥).

تلك قصة نبيين كريمين أنصفهما الحق سبحانه وتعالى في محكم كتابه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النمل: ١٥).

زكريا عليه السلام

والدعاء الخفي

(**زكريا**) من ر ك ز - (الركز) الصوت الخفي.

و(**زكريا**) فيه ثلاث لغات: المد والقصر وحذف الألف؛ فإن مددت أو قصرت لم تصرف، وإن حذفت الألف صرفت.

وجاء في بعض المعاجم: (**زكريا**) هو الصوت الخفي، والعالم الحليم الحكيم والذي يذكر الله سبحانه كثيراً.

وكان عليه السلام صلبًا في الدين، ولم يرزق بالولد حتى دعا ربه سبحانه.

(**يحيى**) ومعناه: الحياة الدائمة الأبدية.

وهو أول من تسمى بهذا الاسم من الخلائق، وكان باكيًا حزينًا من شدة خوفه من ربه تعالى، وكان لين الجانب حسن الخلقة، وقد مات شهيدًا، والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وقد أطلق عليه العلماء: الشهيد الذي يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب.

(**سالومي**) وهو مشتق من (سلوام) وهي بركة في أورشليم.

وهما - عليهما السلام - آخر من بعث من أنبياء بني إسرائيل قبل عيسى عليه السلام.

وكل هذه المعاني جاءت في القرآن وخاصة سورة «مريم».

وقد جاء في أولها معنى الاسم وهو «الدعاء الخفي»: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ (مريم: ١-٣).

وأما معنى الاسم من «ركز» فقد جاء في الآية الأخيرة: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم:٩٨).

وقد تفنن القصاص في قصة زكريا ويحيى ـ عليهما السلام ـ أكثر من غيرها، ففي قصة انفلاق الشجرة لزكريا عليه السلام لإخفائه عن الأعداء، وقد أخذ الشيطان بطرف ثوبه ليدل عليه، يتضح ما فيها من هشاشة وضعف وخاصة أنه لا دليل عليها.

وأما يحيى عليه السلام فهو أكثر الأنبياء الذين جاء ذكرهم في التوراة والإنجيل تجسيدًا في أعمالهم واسمه عندهم (يوحنا المعمدان)، والإسلام يحرم كل هذا العبث لجميع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بدون استثناء، وذلك لأنهم يقومون بتحوير القصة الراقية إلى عمل يتناول جوانب مادية وعاطفية بأسلوب لا يخلو من الهبوط والتدني بحجة الدراما وذروة الصراع، وبهذا ينقلون المقدس إلى المدنس، وذلك باستباحة الوحي الإلهي، واللافت أن من يقومون بهذا العبث أغلبهم من غلاة الصهيونية، فعلى أيديهم كانت البداية في استباحة الأديان وقصص الكتاب المقدس، فأظهروا موسى عليه السلام مرتين صامتًا ثم متكلمًا، ثم تجرأوا وأظهروا السيد المسيح عليه السلام، مستحدثين بعض القواعد لتحريف الثوابت الإيمانية الراسخة، والتأكيد على نقاء الشعب المختار من خلال تحقير الشعوب الأخرى وخاصة الشعوب العربية، وذلك بالتصريح أو التلميح بأن إسماعيل عليه السلام هو أبو العرب أي أنهم من نسل العبيد، وبينما إسحق عليه السلام هو أبوهم أي أنهم من نسل السادة، وأن أرضهم تمتد من الفرات إلى النيل كما وعد الله سبحانه نبيه إبراهيم عليه السلام. !!

والسؤال الهام والذي يجب أن يعرف إجابته كل مسلم غيور على دينه: ما حكم مشاهدة هذه الأباطيل؟

obeikandi.com

يقول سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٤٠).

ولا يشك أي مسلم ما في هذه الأباطيل من الكفر بآيات الله والاستهزاء بها، وعليه فإن من يذهب إليها بنفسه ويرضاها بقلبه بما فيها من تكذيب للكتاب الحق وتحريف للكلم عن مواضعه، فإن الحرام هو أقل ما يقع فيه، والخوف أن يصل به إلى النفاق ثم الكفر ـ والعياذ بالله ـ ويحشر يوم القيامة مع المنافقين والكافرين كما أخبرت الآية الكريمة من سورة النساء.

يقول البعض ممن ابتعدوا عن الأجواء الإيمانية وانغمسوا في أماكن اللهو وتأثروا بما يقوله أهل الضلالة والكفر والعلمانية عن حرية الإبداع والتي لا ينكرها الإسلام بشرط عدم المساس بالعقيدة والثوابت الإيمانية وعدم الهجوم على الذات الإلهية أو على رسوله الكريم وصحابته الأخيار أو على القرآن الكريم أو الأنبياء الكرام: لماذا لا نشاهد ونقارن ونفكر ثم نقرر ونحكم؟!

الأستاذ/ عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ وهو أعظم المفكرين الإسلاميين في العصر الحديث له كتاب بعنوان (التفكير فريضة إسلامية»[1]، وهو هنا يعني التفكير في أعظم كتاب مقروء ركز على قيمة العلم في الضمير الإسلامي، وأعظم كتاب مشاهد عن خلق الله سبحانه وتعالى نبهنا إليه نبينا الكريم ﷺ.

---

(١) الأستاذ/ عباس محمود العقاد ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ الكاتب الكبير والمفكر الإسلامي وأعظم كتاب العصر الحديث، ١٨٨٩م-١٩٦٤م، ومن مؤلفاته عن الأنبياء: «عبقرية محمد ﷺ» ١٩٤٢م، و«عبقرية المسيح عليه السلام» ١٩٥٣م، و«أبو الأنبياء الخليل إبراهيم عليه السلام» ١٩٥٣م.

أي تفكير وأنت تشاهد إمكانيات هائلة تكلفت الملايين، وإبهار بكل وسائل العلم الحديث، وزهور بديعة ولكنها أزهار الشر والشوك، وفاكهة ناعمة الملمس وطيبة الرائحة ولكن مرارتها أشد مرارة من العلقم، وشموع مضيئة ولكنها حالكة الظلام ستغلق قلبك عن الخير وسمعك عن الحق وستضع غشاوة على عينيك.

ليتهم يرجعون إلى فتوى الشيخ جاد الحق ـ رحمه الله ـ والتي بين فيها حرمة تمثيل شخصيات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لأن لهم من العصمة ما يصونهم عن أن يتمثل بهم أي إنسان، بل وإنه يرى أن ذلك يمتد إلى أصولهم وزوجاتهم وأولادهم، بل وأصحابهم الذين عاصروا الرسالة واسهموا في إبلاغها إلى الناس[(١)].

وإذا كان هذا رأي علمائنا الأفاضل، فإن حرمة ذلك يمتد إلى اللوحات المرسومة وغيرها[(٢)].

وأما هؤلاء الذين يتحايلون على هذا الأمر بتحوير القصة إلى عمل آخر مع الاختلاف في بعض التفاصيل وتغيير الأسماء كما حدث مع قصة الكريم عليه السلام، فنقول لهم: اتقوا الله في دينكم . . ؟!.

---

(١) هذا الفن أساسًا يعتمد على المحاكاة والتقليد، مع القدرة على استحضار صور وأحياء الشخصيات بطريق التخييل، ثم التعبير عنه بالكلمة والإشارة، فمن يملك هذه القدرة لتجسيد صفوة الخلق ـ عليهم السلام ـ؟!

(٢) الإسلام حرم تحريمًا قاطعًا ما يسمى (فن التصوير والنحت بالنسبة للأنبياء ـ عليهم السلام ـ) وأيضًا الصحابة رضي الله عنهم برغم حجة من يقومون به بأنه يرسم على وجوههم البهجة والبساطة والوداعة ويحيط رؤسهم بهالة القداسة . . !! والحمد لله لم نر شيئًا من هذا فيما يعرف بالفن الإسلامي والذي اقتصر على الزخارف والخط وما يشبه ذلك.

ـ والتصوير حرامٌ على ذوات الأرواح عامة وسواء كان أنبياء أو غيره، وهذا هو الراجح من حكم العلماء في هذه المسألة، يراجع «حكم الإسلام في التصوير» للعلامة ابن باز ـ رحمه الله ـ.

وقد جاء في سبب قتل يحيى عليه السلام أسباب كثيرة، من أشهرها ما رواه عدد من المؤرخين: أن «سالومي» أحبته فأبى عليها، فلما يئست منه تحيلت في أن استوهبته من الملك، فتمنع عليها ثم أجابها إلى ذلك، وبعث بمن قتله وأحضر إليها رأسه ودمه.

والرأي أنه مادام القرآن لم يذكر شيئًا من هذا، فالواجب ألا نستمع لكل هذه القصص، والاقتصار على القرآن العظيم والذي يبين لنا أنه يقص قصصهم والتي هي أحسن القصص للعظة والعبرة حيث عاقبة الصبر سلامة وكرامة.

ومن قصة زكريا عليه السلام نعلم أن ثلاثة تسلك خيطًا واحد: الدعاء واليقين وعدم اليأس، فإن ذكرت واحدة لابد أن تذكر الطرفين الآخرين.

يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤).

أي أن الجنة ليست بالتمني ولكن بالعمل الصالح والجهد والصبر على البلاء، وأن الأنبياء - عليهم السلام - كانوا أشد بلاءً من جميع الناس.

الدعاء أول الثلاثة وأهمها، دعا به عليه السلام سرًا وهو المأمور به لأنه أبعد عن الرياء، وأقرب إلى الصفاء، وأن الدعاء بالقلب أعمق وأكثر عددًا وأعظم نفعًا، وهذا ما فعله عليه السلام حيث دعا في ذلة ومسكنة في جوف الليل مناديه لا يسمعه أحد غيره سبحانه وتعالى، كما أخبر القرآن: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩- ٩٠).

وتبين الآية أن استجابة الدعاء منه عليه السلام لمبادرته أبواب الخير ومسارعته في تحصيلها، وطمعًا وخوفًا من الآخرة، ورجاء لرحمة ربه سبحانه وتعالى.

أي الدعاء الخالص مستجاب يقينًا، وهذا ما تعود عليه دائمًا، ولهذا دعا بما هو فيه الاستحالة على قدرة البشر المحدودة، حيث أنه شيخ طاعن في السن وامرأته عاقر، وكانت الإجابة بأن هذا سهل يسير على من أوجده من العدم، كقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (مريم: ٩).

ولهذا كانت إجابة المستحيل تحقيقًا لليقين والذي كان يسأله النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم في الدعاء: «**ويقينًا ليس بعده كفر**» (جزء من الحديث الذي رواه الترمذي).

وكما جاء في الحديث القدسي الجليل: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وأنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر**» (جزء من الحديث الذي رواه ابن شيبة في مصنفه).

هذا هو اليقين بقدرة الله سبحانه الذي يغير نواميس الكون كيف يشاء: أمر النار ألا تحرق، والسكين ألا تذبح، والحوت ألا يمس صاحبه، وأخرج النبوة من بيت الكفر، وأبطل قانون الماء ليصبح أرضًا صلبة، وأحيا الموتى بالموتى، وأخرج الأمن من الخوف.

وهكذا بالدعاء واليقين يصل المؤمن إلى عدم اليأس الذي حرمه الإسلام تحريمًا قاطعًا على كل من آمن بالله سبحانه: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

يقول العلامة الآلوسي: «لا ييأس من روح الله إلا القوم الذين لا يؤمنون بقدرته سبحانه، لأن المؤمن يعلم أن بعد مضيق الكرب متسع الفرح» (من كتاب روح المعاني).

لقد رأى زكريا عليه السلام رزقًا واسعًا يأتي لمريم بلا تبعة، فدعا أن يرزقه بالولد، وذلك لأنه أيقن أن القادر على الإتيان بالشيء في غير أوانه قادر على الإتيان بالولد في غير حينه.

تلك هي قصة نبيين كريمين: زكريا عليه السلام أحد النجباء السبعة الذين يظلهم الله سبحانه يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، فهو على رأس: «**رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**» (جزء من الحديث الصحيح الذي رواه البخاري).

ويحيى عليه السلام وهو رجل من أهل الجنة لم يحمل حقدًا لأحد حتى لمن قتلوه، وكأن النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم كان ينظر إليه وهو يقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»، فجمع أربع مقامات من الإحسان: العفو والاستغفار والاعتذار عنهم والاستعطاف لهم.

المسيح عليه السلام

عيسى بن مريم عبد الله ورسوله

(المسيح) لأنه طاهر من الذنوب، وأنه مشتق من مسح الأرض لأنه لم يكن يستقر في مكان، ويقال: أنه سمي بذلك لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، وأن زكريا عليه السلام مسحه بدهن البركة، وأنه كان جميلاً وبه مسحة من الجمال.

وجاء في بعض المراجع: أنه الممسوح بمثل الدهن والبركة، أو كالدرهم الممسوح الذي لا نقش عليه لأنه كان زاهدًا، وأنه كان ممسوح القدمين.

ويقول بعض المؤرخين المسلمين: سمي «المسيح» بهذا الاسم لمسحه الأرض وسياحته فيها وفراره بدينه من الفتنة في زمن اشتد فيه تكذيب اليهود له وافترائهم عليه وعلى أمه ـ عليهما السلام ـ.

ومن الأسماء التي جاءت في دوائر المعارف الغربية: «أبيل الأبابيل» أي راهب النصارى، و«شيلون» أي الذي يأتي بالسلام والطمأنينة، و«مسيا» أي ممسوح ومدهون، و«يسوع» أي الخلاص.

(عيسى) من أجمل المعاني لكلمة «عيسى» ما جاء في وصف النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم لأخيه عيسى عليه السلام: **«أحمر، جعد، عريض الصدر، أدم كأحسن ما يرى من أدم من الرجال»** (رواه البخاري).

فكلمة «عيسى» يقال أنها من أصل عربي متصل بلفظ «العيس»، وفي لسان العرب «العيسى والعيسة» وهي بياض يخالطه شي من الحمرة، أو هو لون أبيض مشوب صفاء في حمرة خفيفة، تمامًا كما وصفه الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم لما رآه ليلة الإسراء والمعراج في السماء الثانية.

(**مريم**) ومعناه: العذراء المنقطعة عن الزواج، والتي بلغت الصدق مع الله، وقد أجرى سبحانه على يديها الكرامات، الصديقة، ابنة عمران، أخت هارون[1]، والعابدة الناسكة البكر البتول.

وهي الوحيدة التي ذكر القرآن اسمها صراحة في نحو ثلاثين موضعًا، وسميت سورة باسمها وهذا للمعجزة الربانية التي لن تتكرر ولم تتكرر إلى يوم القيامة.

(**الإنجيل**) ومعناه البشارة والشواهد.

جاءت سورة «آل عمران» وما يقرب من ثلاث وثمانين آية في صدرها للرد على اليهود والنصارى وتفنيد كذبهم ومزاعمهم، وقد كشفت السورة «الزمرة الأولى» وأظهرت حقيقتهم وكشفت عن نواياهم وجناياهم، وما انطوت عليه نفوسهم من خبث ومكر، وأما «الزمرة الثانية» وهم الذين جاءوا في أمر المسيح عليه السلام وزعموا ألوهيته وكذبوا برسالة محمد ﷺ وأنكروا القرآن، ومن الأمور الهامة التي أرشدت إليها السورة الكريمة التحذير للمسلمين من كيد ودسائس أهل الكتاب.

وأما الأعجب والأغرب فهو أمر اليهود من عيسى عليه السلام، كذبوه حيًا، وآذوه ولم يعترفوا به مسيحًا، والآن ينتظرونه ليأتي ويعيد إليهم دولتهم، ثم يفرض سيطرتهم على العالم . . !! وكلمة «المسيح» في العبرية تعني الرجل الذي طهره «يهوه» والكلمة تأخذ في التوراة معاني عامة، فتطلق على الملوك والأنبياء وكل

---

(١) معنى قوله سبحانه: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ (مريم:٢٨)، مبالغة في التعبير لأنها عرفت بينهم عابدة قانتة قصص الأنبياء» للعلامة الشعراوي ـ رحمه الله تعالى ـ (ص٤١٢)، وقال الشيخ أحمد فريد ـ حفظه الله تعالى ـ: «﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾؛ استئناف لتجديد التعبير وتأكيد التوبيخ وتقريره لكون ما جاءت به فريًا وهارون هو النبي المشهور صلوات الله عليه يعنون أنها مثله في الصلاح» «تيسير المنان في قصص القرآن» (ص١٧٩)، دار ابن الجوزي.

الرجال الذين يقومون بعمل ديني مقدس، وأما المعنى الخاص لهذه الكلمة عند اليهود فهي: النبي أو المخلص الذي يرسله «يهوه» لإنقاذ بني إسرائيل.

وأما النصارى فقد زعموا أن لله ولدًا ـ حاشا لله ـ ويزعمون أن الله ثالث ثلاثة وهم: الذات المقدسة، وعيسى، ومريم.

وهكذا ضاع التوحيد الذي دعا إليه عيسى عليه السلام في ركام الفلسفة والأساطير، وجاء القرآن ليرد عليهم بأنه عليه السلام ما هو إلا عبد من عباد الله خلقه من تراب: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران:٥٩).

وفي وسط هذا الظلام الدامس، وقد انطفأت مصابيح الهدى، وصارت أغلب العقائد لا تتفق مع ما جاءت به الأديان السابقة، ولهذا خاطب القرآن الذين آمنوا برسالة عيسى عليه السلام أن يؤمنوا بالنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ليكون لهم نصيبين من الرحمة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد:٢٨-٢٩).

ولقد أنصف القرآن نبيه وعبده حين جعله النصارى أكبر قربان في تاريخ البشرية، وهو الذي جاء ليسخر من عقيدة القرابين، فهم يزعمون أنه مخلص البشرية من الخطيئة المتوارثة، والقرآن يؤكد أن الله سبحانه تاب على آدم عليه السلام، وأن الخطيئة الموروثة ليست من العدل الإلهي ـ تعالى الله علوًا كبيرًا ـ كما أخذ سبحانه في محكم كتابه: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم:٣٨-٣٩).

وقد وفى القرآن المسيح عليه السلام حقه، وتحدث عنه حديث التكريم والإجلال كنبي كريم، وجعل التصديق بأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الروح الأمين إلى مريم البتول العذراء ركيزة من ركائز الإيمان الصحيح كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري.

وقد ذكر القرآن أيضًا معجزاته إجمالاً وكلها تؤكد صدق نبوته، ولكنه أكد أنها جميعًا بإذن الله سبحانه وتعالى، بل إنه في آية واحدة كررها مرتين للتأكيد على هذا الأمر ولنفي توهم الألوهية عنه، كقوله تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٤٩).

وكذلك أنصفه القرآن حين قرر أنه قام في بني إسرائيل خطيبًا يبشرهم بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، ونوه باسمه وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتبعوه إذا شاهدوه إقامة للحجة عليهم.

ولما كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهله، وقد كان زمن عيسى عليه السلام قد اشتهر بالأطباء البارعين وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدًا من خالق الكون سبحانه وتعالى، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الموتى أو مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم القيامة؟

ومع أن الأطباء الذين عاصروه عليه السلام جمعوا بين الطب والدين والفلسفة، واختاروا المنهج التجريبي في الوصول إلى العلاج الناجح في كثير من الحالات، هذا العلاج الذي وصفه «ابن رشد» في كتابه (الكليات في الطب» بأنه كان صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة يلتمس بها حفظ بدن الإنسان وإبطال

المرض بأقصى ما يمكن، وتحدث عنه «القفطي» في كتابه (أخبار العلماء بأخبار الحكماء) وذكر فيه أن زمن عيسى عليه السلام كان يسمى «زمن الطب»، إلا أن ما وصلوا إليه لا يعد شيئًا يذكر أمام المعجزة الإلهية التي أجراها الله سبحانه على يد عبده ورسوله عليه السلام.

فمن المصادر الإسلامية ما جاء في تفسير الجلالين: «أنه أختار لهم من الطيور (الخفاش) لأنه أكملها خلقًا، فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتًا، وقد خص بالذكر الذي ولد أعمى والأبرص لأنهما كان لا علاج لهما، ويقال: أنه أبرأ في يوم خمسين ألفًا بالدعاء بشرط الإيمان أن كل ذلك بإذن الله سبحانه» (من تفسير سورة آل عمران).

وأما ما جاء في مصادر أهل الكتاب ويمكن تصديقه إلا أنهم لم يذكروا أنها «بإذن الله»؛ أنه عالج الرجل المفلوج عندما قال له: احمل سريرك، وامش فقام صحيحًا، وعالج صاحب اليد اليابسة فصارت سليمة، وعالج الرجل الأصم فشفاه، ووضع يده على الأعمى فأبصر، ومع هذا لم يذكروا «بإذن الله» . . !!.

تمامًا كما أنكروا عمدًا ما قاله عيسى عليه السلام وهو في المهد: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: ٣٠)، ذلك لأن كلمة ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾ تهدم عقيدتهم الفاسدة من أساسها.

تلك قصة نبي كريم من أولي العزم، وقد جعل الإسلام من نزوله علامة من علامات الساعة، وتكذيبًا لما ادعوه باطلاً في دعوى الصلب، كقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٥٧-١٥٩).

وسوف يرى ـ كما وعده الله سبحانه ـ عجائب أمة محمد ﷺ ؛ أمة تدخل الجنة بلا إله إلا الله، ويرضون بالقليل ويرضى ربهم سبحانه منهم باليسير، وحتى ليعينهم على قتل اللعين الدجال، ويملأ الدنيا عدلاً ويبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب، ولا يقبل إلا دين الإسلام حيث تهلك كل الملل، ولا تبقى إلا شريعة الدين الخاتم الحنيف لا تنسخ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما ما يقولونه ـ زورًا وكذبًا وبهتانًا ـ وهو برئ ومنهم بأن الإله المتجسد المسيح عليه السلام ـ حاشا لله ـ ينزل إلى الأرض ليقود المعركة الكبرى ضد أمبراطورية الشر، وأن شرط عودته إلى الأرض هلاك عدوهم الأول . . !!

ومن البديهيات والتي لا تحتاج إلى تفكير أننا نعرف ماذا يقصدون بأمبراطورية الشر وعدوهم الأول؟!

يقول سبحانه وتعالى مخبرًا عما يقوله العبد الصالح يوم القيامة: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١١٧).

ولقد لخصت آية واحدة في القرآن قصة أقرب الأنبياء عهدًا بالنبي ﷺ وأخبر أنه أولى الناس به في الدنيا والآخرة: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الصف: ٦).

وفي القرآن حديث رائع وتصوير شجي لآلام السيدة مريم ـ عليها السلام ـ ومعاناتها وابنها سيدنا عيسى عليه السلام، وهما معًا آية من آيات الله الكبرى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون: ٥٠).